مجلة الرائد

العدد : ١٩٩ الموافق في صفر ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٦ ميلادي

عنوان المقال : ربـــــنـــــا ... اصـــرف عـــنّا جهنم... وأطفالنا (٤-٥)	بقلم : يمان السباعي

سألت ابني الصغير ذا السنوات الست : ما هي جهنم ؟ وكيف تتصورها !؟ فأجابني وبالحرف :

« جهنم حيث يحرق الله الناس الشريرين والمؤذين... ولكن بنار حقيقية » .

قلت له : وكيف ذاك ؟ فقال :

« هناك يحطم الله رقاب هؤلاء ، ويقلع عيونهم ، ويقتطع نصف رأس كل منهم ، ويدع النصف الآخر !!... ويستخرج دماءهم كلها ! » .

سألته وقد أخذ مني الهلع كل مأخذ : وماذا تظن أنهم فعلوا ليستحقوا مثل هذا الذي تقول ؟ فقال لقد كانوا سيئين للغاية ، يسرقون ، ويخططون لحرق المدن ، ويقتلون الناس ، وكانوا يشربون الخمر ثم يفقدون عقولهم ويضربون الناس ، وكذلك يركبون في سفينة " التيتانيك " ليسرقوا الناس ، ثم يرمونهم في البحر !!!.

❋ ❋ ❋

أذهلني هذا الحديث مع ولدي الصغير لسببين ، أولهما أنني لم أستعمل قط في تربيته ولا في تربية إخوته وسيلة التخويف بجهنم وأهوالها ، وثانيهما تجمُّع كل هذه الصور المفزعة والغريبة في مخيلة طفل لم يتم السابعة من عمره بعد... خاصة أنه لم ير " فيلم التيتانك هذا "... ولكنه التأثير الرهيب الذي تمارسه وسائل الإعلام على عقول أطفالنا وتصوراتهم !.

لقد بدت صورة جهنم في ذهنه حية ماثلة رهيبة ، ذات حضور يتمتع بأبعاد أربعة في مخيلته ، فالزمن واضح جلي... والمكان مرسوم بعناية فائقة... وعمق القضية مدرك ومفهوم ، والألم الإنساني قائم في حسه !! فالموت هو الحد الفاصل بين الحياة وبين دخول جهنم ، وجهنم هي عند الله... أتعرفين أين هي الجنة ؟؟ إذن جهنم في الجهة المقابلة عند الله ! هل فهمتِ !!.

من أين جاء " عبد الرحمن " بهذه التصورات الدقيقة عن جهنم . إنه الحضور الجهنمي في حياة البشرية ، فلجهنم وجود حي في أعماق الجميع ، فهذا الطفل يسمع عن جهنم في الرسوم المتحركة ، في قصص الأطفال المصورة ، في المدرسة على ألسنة الجميع ، في أحاديث أخواته ، في البيت ، في الشارع ، في كل مكان... جعله يرسم لنفسه هذه الصورة القبيحة لجهنم ، وفهم أنها هذا المكان المريع الذي تجري فيه عملية عقاب مروعة .

وكنت قد دأبت ومنذ عشرين عاماً على اتباع أسلوب مغاير لما جرت عليه العادة في بلادنا ، وفي هذه النقطة بالذات ، ذلك أنني رأيت معظم الأطفال يشبون على الخوف لا على المحبة... وتُبنى قواعد السلوك

عنوان المقال : ربـــــنـــــا ... اصـــرف عـــنّا جهنم... وأطفالنا (٤-٥)	بقلم : يمان السباعي

لديهم على أساس العقاب ، لا على أساس الثواب... وتزرع في عقولهم الصغيرة أهوال العذاب ، لا مسرات النعيم... وهذا يترك بصمات خطيرة في حياة الأجيال ، ويلعب دوراً مدمراً في مستقبل الأطفال نفسياً وفكرياً ، ولقد رأيت أطفالاً منعهم الخوف والهلع من جهنم من النوم ، لكنه لم يمنعهم من ارتكاب الذنب وتجاوز أوامر الأبوين !! ولقد رأيت طفلة صغيرة في الخامسة من عمرها قد أتت أمها بسكين ، وهي تبكي وتنتحب ، تريد أن تزيل لها أمها السيئات العالقة بأكتافها حتى لا تدخل النار وتحترق بها !!

هذا العالم المخيف المفزع ، الذي يبدو فيه الإله الخالق ، وكأنه سجان مخيف يزرع الهلع في نفوس الأطفال ، ويضرم ناراً رهيبة يحرقهم بها... هذا العالم المغلق على شياطين وعقارب كالجبال ، وناس يصيحون ويبكون وتسيل أنهار من دمائهم وعرقهم... هل هو عالم يناسب عقول أطفال لم يتجاوزوا السابعة أو الثامنة من أعمارهم ؟؟ وهل هو وسيلة تربوية نستخدمها سوطاً نسلطه على رقاب هؤلاء الصغار نشوه عن طريقها حبهم لربهم ، واطمئنانهم لرحمته وكرمه ، واستمتاعهم بآيات جماله وروعة صنعته ؟؟!

وأين نحن من حديث رسول الله ﷺ : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » وكيف ينشأ هؤلاء الصبية على حب الله وما والاه وقد امتلأت نفوسهم بخوف مرضي غير سليم استساغ أهلوهم استعماله ليستعينوا به على التزام أولادهم الطاعة .

❋ ❋ ❋

إن التربية يجب أن تبنى على أساس من الخوف والطمع ، من المحبة والرهبة ، من العقاب والثواب... ولكن زرع حب الله في نفس الطفل الصغير أهم في هذه المرحلة من حياته من إلغام هذه النفس بالخوف والرعب من هذا الإله .

وإن تزيين الجنة في عقله الناشئ أروع وأجمل وأسلم في تلك السن الصغيرة من رسم معالم ذلك المكان المفزع الأليم .

ولا يعني ذلك أن نحذف " جهنم " من عملية التربية... ولكنه يعني أن نبدأ من حيث يمكن أن نبني ، أن نبدأ من هذه النفوس الصغيرة الطاهرة الصافية فنزينها بما يجب أن يزينها في أول عهدها بالحياة ، وهو حب الله الذي أوجدها... فإذا ازدانت هذه النفس بحب الله ، وأشرقت بالآمال والتفاؤل والسعادة ، وتخيل الجنة التي يجب أن يستعمل التشويق لها ، أداة تربوية فعالة في حياته ، عندئذ يمكن البدء بذكر جهنم شيئاً فشيئاً في حياته... ويكفي ذكر اسمها أمام الطفل بشيء من الاشمئزاز ، لينفر منها ومن دخولها... وتبقى اسماً قبيحاً

مجلة المرابط

العدد : ١٩٩ الموافق في صفر ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٦ ميلادي

عنوان المقال : ربـــــنـــــا ... اصـــرف عـــنّا جهنم... وأطفالنا (٤-٥)	بقلم : يمان السباعي

يُخشى منه ، ليُنمى مع الزمن وفي مرحلة لاحقة ، ليبلغ مع الشوق إلى الجنة ، درجة التوازن اللازمة في حياة المؤمن بين محبة الله وخشيته ، والطمع في الجنة ، والخوف من النار .

لقد أثبتت التجربة نجاح هذه الخطة التربوية بما لا يقارب من الإيجابية نسبة إلى الخطة التي دأب الناس على اتباعها في تربية أولادهم ، والتي تورث الطفل سوداوية وتشاؤماً ولا تجعله يعطي وجوده وحياته القدر الملائم من الإيجابية والتقييم المتفائل الضروري لحياة المؤمن ووجوده وكونه عنصراً فعالاً في حياته وحياة الآخرين .

ولقد رأيت أن خوف الطفل من عدم دخول الجنة ، يفوق آلاف المرات خوفه من جهنم في المجال العملي .. فإذا قلنا للطفل إذا لم تسمع الكلام -مثلاً- نقص نصيبك من الألعاب في الجنة ، أو أن من لا يقول الصدق يتوقف بناء قصره في الجنة ، ولقد ضمن لي حصان أبيض يطير بجناحين في الجنة ، استقامة واحدة من بناتي كانت تعض كل ما هب ودب في المنزل !!!

إننا في حاجة إلى بعض التخيل في ابتكار وسائل تربط أبناءنا بمحبة ربهم ودينهم ورسولهم ، وتقوي إيمانهم بدورهم الإنساني في هذه الحياة ، لأننا في حاجة إلى تغير جذري في جميع أساليبنا التربوية ، ولا أقول أهدافنا ولا قيمنا ، ولا الثوابت المعروفة في أصول مناهجنا التربوية الإسلامية .. فلقد ثبت أن ما تعانيه أمتنا من بلاء إنما يعود إلى أصل واحد .. هو فشل العملية التربوية على كل صعيد في هذه الأمة .

لقد آن الأوان لأن نربي أجيالاً ترفع الرأس بحب الله والانتماء لدينه ، ولا تشعر بالانخذال والتصدع الداخلي نتيجة نشوئها على أساليب القمع المادية والمعنوية ، تارة بالضرب والإذلال ، وأخرى بالتخويف والتهويل .

إن " جهنم " ينبغي أن تبقى في إطار مهمتها في تربية الأطفال الصغار ، وينبغي أن تقدم لهم في حدود مداركهم وفهمهم ، لكي تثمر في هذه النفوس بما ينبغي لها أن تثمر من تحقيق التوازن في عقيدة المؤمن الذي يجب أن يعطى الفرصة لينمو بشكل طبيعي ، دون أن نعمل على تدميره في مهده فينشأ فرداً يزيد في أعداد الأفراد ، عاجزاً عن الفعل لأنه يعاني فقراً مدقعاً في الأمل ، وفي الارتواء من روح الله... وعدم اليأس والقنوط ، مما يدفع إلى العمل المثمر البناء... وهو ما تفتقده أمتنا اليوم وعلى كل المستويات .